Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفردانيات لا يمكن اكتشافها وإدراكها إلا بالرجوع إلى بعض القيم المصطلح عليها ، والتى هى مجرد اسم آخر للثقافة ، وفى فرنسا ، يميز (ا . د اكسينوبول) بين العلوم الطبيعية كشىء مشغول بـ « الحقائق المتكررة » وبين التاريخ كشىء مشغول بـ « الحقائق المتتابعة » وفى إيطاليا أقام بنديتوكروتشى مجمل فلسفته على المنهج التاريخى والذى يختلف كلية عن منهج العلوم الطبيعية .

ومناقشة هذه المشكلات مناقشة كاملة قد تؤدى إلى قرار حاسم بالنسبة لمشكلات أخرى مماثلة مثل : تصنيف العلوم ، وفلسفة التاريخ ، ونظرية المعرفة ، ويمكن بعض الأمثلة الملموسة أن توحى – على الأقل – بأن هناك مشكلة حقيقية جدًّا لابد أن يواجهها دارس الأدب . لماذا ندرس شكسبير ؟ من الواضح أننا لسنا مهتمين أساسًا بما يشترك به شكسبير مع الرجال الآخرين ، إذ أننا فى هذه الحالة نستطيع كذلك أن ندرس أى إنسان آخر . كما أننا لسنا مهتمين بما يشترك به شكسبير مع كل الإنجليز ، أو مع كل رجال عصر النهضة ، أو مع الاليزابيثيين ، أو مع كل الشعراء ، أو مع كل كتاب المسرح ، أو حتى مع كل كتاب المسرح الإليزابيثيين ، لأننا فى هذه الحالة قد ندرس ديكر أو هيوود أيضًا . إننا بالأحرى نريد أن نكتشف ماينفرد به شكسبير ، أى مايجعل شكسبير شكسبير ، ومن الواضح أن تلك مشكلة فرد كما هى مشكلة قيمة . بل حتى لو درسنا أدب عصر معين أو حركة أدبية معينة ، أو أدب أمة معينة ، فإن دارس الأدب سيهتم به كعمل منفرد له ملامح خاصة وقيم معينة تفرده عن مجموعات آداب أخرى مشابهة .

كما يمكن دعم قضية التفرد هذه بحجة أخرى ، وهى أن الحالات التى كانت تبذل لإيجاد قوانين عامة للأدب كانت تبوء بالفشل . إن قانون لويس كازميان الذى يسمى بقانون الأدب الإنجليزى ، وهو « تذبذب إيقاع العقل القومى الإنجليزى » بين قطبين يتمثلان فى العاطفة والفكر (مصحوبًا بتوكيد أبعد يقول بأن تلك الذبذبات تصبح أسرع كلما اقتربنا من العصر الحالى) ليس إلاّ قانونًا تافهًا أو مزيفًا . فهذا القانون ينهار تمامًا عند تطبيقه على العصر الفيكتورى . ومعظم هذه القوانين تتحول لتصبح مثل تماثلات نفسية كفعل ورد فعل فحسب ، أو عرف تقليدى وثورة ، وحتى لو كانت هذه القوانين بعيدة عن الشك فهى لاتستطيع أن تبين لنا أى شىء له دلالة حقيقية عن عمليات الأدب .. فبينما قد ترى الفيزياء أسمى انتصاراتها فى نظرية عامة تتلخص فى قاعدة الكهرباء والحرارة والجاذبية والضوء فليس هناك قانون عام يستطيع الادعاء بتحقيق هذه الدراسة